الفصل الثاني

الحياة السياسية ونظام الحكم

المبحث الاول

نشوء اولى انظمة الحكم وتطورها : -

كان استخدام الكتابة للتدوين في العراق القديم منذ اواخر الالف الرابع للميلاد لذا فان تاريخ النصوص المسمارية المتوفرة التي قد تفيد في معرفة أنظمة الحكم السائدة آنذاك لاتتعدى تاريخ اقدم النصوص المسمارية ، ويستدل من بعض النصوص المسمارية المكتشفة على وجود انظمة حكم متطورة في القسم الجنوبي من العراق منذ عصور فجر السلالات وان وجود مثل هذه الانظمة المتطورة يدل على ان تلك الانظمة كانت قد مرت بمرحلة سابقة ليست لدينا عنها معلومات يقينية اضافة الى ذلك ، فأن النصوص المسمارية السومرية والبابلية المتأخرة نسبيا تتحدث عن حكام وملوك حكموا في الازمنة الغابرة التي سبقت الطوفان في مدن معينة عرف بعضها من خلال التنقيبات الاثرية ومع هذا تظل معلوماتنا عن كيفية نشوء اولى أنظمة الحكم في العراق القديم وكيفية تطورها غامضة ومعتمدة على الاستدلال والاستنتاج .

ان دراسة تاريخ العراق القديم (الذي شغل عدة الاف من السنين منذ اقدم تاريخ الاستيطان في السهل الرسوبي) تشير الى انه كان لطبيعة البلاد الجغرافية وطبيعة بيئتها الاثر الفعال في نشوء اولى أنظمة الحكم واسلوب تطورها من الانظمة البدائية البسيطة الى نظام الدويلات المعقدة فنظام دولة القطر الواحد النظام الامبراطوري الذي نجده في العراق منذ اواسط الالف الثالث قبل الميلاد في عهد الدولة الاكدية

ومن استعراض تاريخ العراق في العصور الحجرية القديمة والوسيطة والحديثة

المبحث الثاني : شكل النظام السياسي

رأينا كيف كان نشؤ اولى انظمة الحكم في القسم الجنوبي من العراق التي تطورت من الادارات المركزية البسيطة الى نظام دويلات المدن ثم نظام دولة القطر الواحد فالنظام الامبراطوري .

اما معلوماتنا عن شكل انظمة الحكم التي سادت دويلات المدن السومرية الاولى وما قبلها فلا تزال قليلة وغامضة شأنها في ذلك شأن معلوماتنا عن مختلف الاوجه الحضارية في تلك الفترة نظرا لقلة النصوص المسمارية ، او انعدامها احيانا واعتمادنا بالدرجة على بعض المخلفات المادية والاشارات العرضية في النصوص المسمارية المتأخرة . وبالنسبة لشكل النظم السياسية في العهد الشبيه بالكتابي وعصور فجر السلالات ، يمكن الاستفادة من بعض النصوص المسمارية المتأخرة الخاصة بالاساطير الدينية والملاحم والقصص وبعض النصوص التاريخية لوضع صورة تقريبية لشكل الانظمة السياسية آنذاك .

وقد قام العالم ياكبسون بدراسة جميع النصوص المسمارية المتوفرة وتوصل الى استنتاج نظرية تقول ان اولى اشكال انظمة الحكم السياسي في العراق القديم في العصور السابقة لعصر فجر السلالات ، اي في العهد الشبيه بالكتابي ، كانت ديمقراطية بدائية . حيث كانت السلطة العليا في المدينة بيد مجلسين ضم الاول منهما المسنين او الشيوخ بينما ضم الثاني جميع المواطنين الآخرين ، نساء ورجالا . وكان المجلسان يجتمعان سوية لاتخاذ القرارات في الامور التي تهم المدينة بصورة عامة وكان لكل مواطن حق الكلام والمناقشة غير انه كان لرأى البعض اهمية خاصة اما لكبر سنهم او سعة نفوذهم او غير ذلك من الاسباب . وكان النقاش حول القضايا المعروضة يستمر حتى يتم التوصل الى قرار نهائي باجماع الآراء حيث لم يكن يتبع اسلوب رأى الاغلبية في اتخاذ القرارات . وكان القرار النهائي يعلن عادة من قبل مجموعة صغيرة من المجتمعين يطلق عليهم اسم مشرعي القانون ومن بين القرارات المهمة التي كان المجلسان يتخذانها اختيار موظف يتولى امور المدينة الدينية وبعض الامور الدنيوية وكان يطلق عليه لقب ابن EN وكانت سلطة هذا الموظف محدودة ومقيدة بسلطة وصلاحيات هذين المجلسين الواسعة فلم يكن بمقدوره ، مثلا ، اتخاذ اى

المبحث الثالث : الملك والملكية

يستدل من القصص والاساطير الدينية ان الملكية في العراق القديم كانت من الافكار والمظاهر الالهية في اعتقاد القوم . وان اول من اصبح ملكا في السماء والارض هي الالهة نفسها وعلى وجه التحديد الاله أنليل بينما كانت شارات الملك موضوعة **امام الاله آنو ANU ابي الالهة في السماء .ثم خلق البشر ليعبد الالهة وينوب عنها في ادرة شؤون البشر في الارض وكانت الملكية احدى الهبات التي** منحتها الالهة لتمكنهم من القيام بواجباتهم تجاه الالهة . لذا ، فأن جداول الملوك السومرية تنص صراحة على ان الملكية كانت في السماء ثم هبطت الى الارض حيث تقول : -

في ذلك الوقت لم يكن قد لبس تاج .....

وكان الصولجان ورباط الرأس والتاج والعصا مودعة في السماء امام آنو ...

(ثم) هبطت الملكية من السماء .

وكان الملك ، حسب المعتقدات القديمة ، ينتخب من قبل الالهة ويقلد شارات الملكية ، فهو بذلك وكيلها وممثلها ونائبها على الارض . وكان انتخاب الملك

مسؤوليات الملك وواجباته :

لم يكن الملك في العصور القديمة رئيس الدولة الرسمي وممثلها في المحافل الرسمية والدينية فحسب ، كما هي الحال في كثير من الدول المعاصرة ذات النظام الملكي . بل كان قائد البلاد في وقت الحرب والسلم وعليه تقع مسؤوليات كثيرة ومهام جمة بل ان صفة الدولة العامة كانت تصطبغ بصفة الملك نفسه ، فأن كان الملك ضعيفا ذا شخصية ضئيلة ، فان ذلك يعني بان المملكة تمر بفترة ضعف سياسي وعسكري وان كان قويا حازما حكيما ، فانه يعني ان المملكة كانت تمر بفترة من القوة والازدهار . ويصدق هذا القول بشكل خاص على اولئك الملوك المؤسسين لسلالات جديدة والذين جاءوا الى الحكم بالقوة كالملك سرجون الاكدى

وسرجون الآشوري مثلا كما يصدق على العديد من الملوك الآخرين الذين جاءوا الى الحكم عن طريق الوراثة .

وكانت واجبات الملك ومسؤولياته تجاه الالهة اولا واتجاه الرعية ثانيا . **فاما واجباته تجاه الالهة فكثيرة .فباعتباره ممثلا للالهة ونائبا عنها في الارض** كان عليه ان يعني باقامة الشعائر الدينية ويساهم في المهم منها كمساهمته مثلا في اعياد رأس السنة الجديدة وما تتضمنه من طقوس خاصة بالزواج المقدس كما كان من واجباته الرئيسة والمهمة تشييد المعابد وتعميرها وتوسيعها ووضع تماثيل الالهة المناسبة فيها . وقد تفاخر الملوك بادائهم هذا الواجب الديني الهام فصور بعضهم على المنحوتات وهم يحملون سلال الطين والاجر رمزا لقيامهم ببناء المعابد . وكان يقع على عاتق الملوك ايضا تفسير ما تريده الالهة وتوصى به عن طريق الاحلام او الفال وكانت تتبع في معرفة رغبة الالهة طقوس ومراسيم معقدة يعاون فيها الكهنة العرافون المختصون وكان على الملوك تنفيذ رغبات الالهة سواء كان ذلك بشأن بناء او تعمير المعابد او القيام بحملة عسكرية او تعيين كاهنة عليا اوكاهن اعلى كما كان الملك مسؤولا عن تعيين الكاهن الاعلى وبقية الكهنة المهمين في المعابد وقد يقلد نفسه كاهنا اعلى لاله البلاد القومي . واضافة الى ذلك كله ، كان على الملك ان يقوم بواجبات وظيفته المعين فيها من قبل الالهة خير قيام ويقدم التقارير التفصيلية اللازمة الى الالهة لبيان حسن ادارته وقيامه بواجباته بصورة صحيحة . ولدينا العديد من هذه التقارير ولاسيما من العهد الآشوري المتأخر وفي مقدمتها الرسالة التي بعث بها سرجون الثاني الى الاله آشور وضمنها تقريرا مفصلا عن اعماله الادارية والعسكرية . وكان على الملك ايضا اضافة الى تقديم التقارير